هويدا الشامي

الموهبة

لم أتخيل في يوم من الأيام أنه سوف يكون لي جناحان مثل الطائر يطير كيفما شاء. لم يكن لدي إدراك بذلك أنه سوف يحدث في يوم ما. رغم كل شيء يحيط بي في ذلك الوقت. القيود التي تعوق حتى حركتي وليس تحليقي في السماء. لم أعِ أنه يوجود جناحان من الأساس. وأن الله خلقهما لي منذ الصغر، وأني فريدة من نوعي بين أفراد المجتمع كلهم، وأن هذا يميزني.

ولدت داخل القفص "المجتمع" حيث به عادات وتقاليد وقيود أيضًا تحد من انتقالي خارج القفص نهائيًا، لذلك لم يكن له سطح "غطاء" لأني لم أعلم في ذاك الوقت أن لديّ جناحين يمكن أن أطير بهما. أصبحت حياتي روتينية ليس بها جديد. حاولت الخروج من القفص، تطلعت إلى مجتمع آخر رغم العادات والتقاليد ولم أكسر القيود لأني لم أضجر يومًا من تلك القيود. وعندما ذهبت إلى هناك حملت في داخلي تلك العادات والتقاليد والقيود. وسألت لماذا أنا هنا؟

وكانت الإجابة: لأنى أريد كل ما هو جديد في المجتمعات الأخرى ونقلها إلى مجتمعي من أجل التطوير والنهوض.

بالفعل ذهبت إلى هناك مختبئة حتى لا يعلم بي أحد من مجتمعي الذي أعيش فيه وتربيت على متعقداته وأفكاره الراسخة. ولا يظن أحد أني كسرت العادات والتقاليد. وأني مازالت أحفظ تلك العادات والتقاليد عن ظهر قلب.

ولقد رأيت ما لم أره من قبل في حياتي. أعجبني كل ماهو فيه من أفكار ومعتقدات وكل ماهو جديد. يحمل الجمال والعلو والازدهار.

سألوني: كيف أتيت إلى هنا؟ ولماذا لم تأتي من قبل؟

قلت: لم يخيل إليّ أني سوف آتي إلى هنا. أني سوف أراكم الآن أمام عيني.

وكنت أكتفي بكل شيء حولي ظنا مني أن هذا هو الأصح. لكني سئمت بعض الشيء من حياتي. بعض الأحيان كنت أعلن العصيان على العادات والتقاليد..... وكنت أظن أن هناك شيئا خطأ..... ماهو؟ لا أعرف..... ربما يحيق في صدري شيء لم أعرفه حتى الآن؟ عندما وطئت أقدامي هنا شعرت براحة وفرحة تغمرني وسعادة تزف إلي. أنا سعيدة جدًا أنى أتيت إلى هنا.

قالوا: من أين أنت؟

قلت: من مجتمع ليس ببعيد عنكم أنتم تعرفونه جيدًا. ولكني لدي إحساس وشعور ينتابني أني غريبة فيه. ولا أعرف لماذا.

قالوا: لماذا ظننتِ أنك غريبة؟ ألم تنظري إلى نفسك وتلاحظي الفرق؟

قلت: أنظر إلى نفسي؟!!

قالوا: ماذا لاحظتِ؟

قلت: لاشيء.

قالوا: تعالي إلى المرآة. وانظرى إلى نفسك جيدًا.

ماذا لاحظتِ؟

عندما نظرت إلى المرآة قلت: لا لا لا أنا لدي جناحان؟!!

قالوا: ولم لا؟

قلت: هذا الأمر خارج مجتمعي الذي تربيت فيه. أني مثل أخواتى.

وصرخت بأعلى صوت عندي: "المرآة أخطأت" "المرآة أخطأت".

قالوا: المرآة لم تخطئ..... ولكن... ماهو إلا تطوير لكل ما هو موجود داخل مجتمعك الذي تربيت فيه. الآن أخبريني بعدما عرفتِ أنك سوف تحلقين في السماء، هل هذا ضد العادات والتقاليد والأفكار؟

قلت: لو عرف المجتمع ذلك عني فلن يتقبلني نهائيًا.

قالوا: لو تقبلتِ نفسك سوف يتقبلك الآخرون. ويتعلمون منك.

قلت مندهشة: أنا من أعلّم الآخرين؟!! وحاولت أن أرفع جناحي للأعلى فلم أستطع فعل ذلك.

قالوا: إنك لم تستطيعي أن تطيري الآن؛ لأنك لم تعتادي على فعل ذلك. ولكن بعد ذلك.....

قلت: هذا مستحيل، إني أضيّع في الوقت، وتركت المكان وعدت من حيث أتيت. قاموا بحبسي نهائيًا حتى لا أعود مرة أخرى إلى هناك.

وانقطع الاتصال بيني وبينهم. وظننت أن ذلك هو الأفضل، أنا لم أطر من قبل ولن أطير.

من فترة إلى أخرى تراودني أفكار في ذهني وأتساءل:

مادمت غريبة داخل المجتمع، فلماذا أنا هنا؟ ولم أكن في مجتمع آخر حتى أستطيع أن أطير بكل حريتي.

ومرت الأيام والليالي وأنا أفكر في أمري هذا. ركزت على نفسي ولم أتخيل أن لدي تلك الإمكانيات التي لم أعرفها من قبل. ولاحظ من حولي من أنا.

بعد سنوات عدة مرت عليه، عدت إلى ذلك المجتمع مرة أخرى بشكل مختلف عن ذي قبل ولست مختبئة كما فعلت في المرة السابقة.

قالوا: أهلا بك... وهل صدقت المرآة؟!

قلت: نعم.. صدقت المرآة. ولم آت بمفردي، تلك المرة معي هؤلاء من مجتمعي. وعرفت لماذا أنا خلقت هنا؟ من أجل هؤلاء حتى أكون المسئول عنهم. ولم أخرج من تقاليدي لكني طورت من نفسي أولا ثم الآخرين. لأنهم رأوا أني لم أضل عن الطريق داخل مجتمعي وأصبح من حولي يتعلم مني كيف أطير في ضوء عاداته وتقاليده.